

المواطنة في الاسلام والقانون الوضعي كندا نموذجاً

المواطنة في الاسلام والقانون الوضعي كندا نموذجاً

المهندس محمد علي(البدري)

كندا او تاوا

المقدمة

خلق الله الانسان ليعيش حراً على هذه الارض في أي بقعة شاء وفي أي بلد شاء، ومن هنا نشأ معنى الوطن والمواطنة.

من الطبيعي أنّ الحياة المدنية تستوجب على كل دولة أن تضع قوانين وضوابط خاصة تحكم ذلك البلد كي يعيش المواطن وفق هذه الضوابط والقوانين معزواً مكرّماً. فتنتفي وفق هذه القوانين حكومة الغاب التي يغلب فيها القوي الضعيف.

أن الاسلام وحينما أسس أول دولة له في المدينة قامت هذه الدولة على اسس من الضوابط والقوانين التي تناسب ذلك العصر وتلك الفترة الخاصة. وبالنسبة الى المواطنة فيها فقد كان يسود الدولة قانون التعايش السلمي الذي شمل الاقليّات غير المسلمة كذلك فترى اليهودي والمسيحي يعيش الى جانب أخيه المسلم بلا فرقٍ وتمييز وفق قوانين وضوابط وضعتها الحكومة الاسلامية لضمان التعايش السلمي بين المسلمين والاقليات ولحفظ ثغور المسلمين ومصالحهم، وبالتالي يعني فأنَّ هذه القوانين والضوابط والأنظمة تتغيّر وتتَّسِع وفق ظروف العصر والزمان.

أمّا بالنسبة الى حق المواطنة ومنح الجنسية فهو قانون حديث وضعه الدول الاسلامية وكذلك سائر الدول الباقية حفاظاً لحقوق المواطن والمواطنة.

مقالاتي هذا بيان مختصر للمواطنة في الاسلام وفي دولة كندا. على أن أكون قد أدىْت واجبي تجاه قضايا تهمَّ المسلمين بصفتي لاجئ لأحد هذه الدول التي تعيش فيها الاقليّة المسلمة، كما وأرجو أن أكون قد وفّقت لبيان ولو مختزل عن واقع يعيشه المسلمون في كندا.

ومن منطلق الواجب ارتأت نفسي بأن أتحدث عن الحقائق التي كثير منها زائفة لكن مدونة في القانون الدولي أو العرفي وقد لا تكون نحن الاداة الحقيقة لتطبيقها. وهناك كذلك الكثير من الحقائق التي تطبق وتمارس بواسطتنا دون أن نجد لها وجوداً في الكتب القانونية المدونة لدى الدول والأنظمة. وهي تشكل المحور الحقيقي والانساني للمجتمع الحضاري والراقي وعند غيابها لا ترى في المجتمع سوى تجسيداً حقيقياً لغابة يسودها المعنى التالي بأتمه فيها القوي يأكل الضعيف وينقلب فيها الحق باطل والباطل حقاً وهلمَّ ما جرا.

فلا بد من الوقفة التأملية عند الكثير من هذه السنن والقوانين والتي تلعب دوراً أساسياً في بناء الاطار الذي يحرس البلد والمجتمع أو بناء الغطاء الشرعي للحياة البشرية المتكاملة.

وقد أخذنا هنا واحدة من مصاديق حقيقة الانتماء البشري (وهي المواطنة) وما يتعلق بها من امور وملابسات في الانظمة الوضعية وما رأى النظام الاسلامي تجاهها.

المواطنة مصدر لمفردة الوطن، ومعنى الاخير: منزل أقامه الانسان ولد فيه أو لم يولد(كتاب العين: 1963، المورد: 906، مادة وطن) وجمعه أوطان. وأوطن الرجل البلد واستوطنه وتوطنه: أتخذه وطنياً (المصباح المنير: 663، مادة وطن). ويقال: حيث أوطنت من بلد أو دار أو مكان: وطن. (جمهرة الـلّغة: 2: 928، باب الطاء والنون وما بعدهما)

المواطنة في الاصطلاح

يتوقف معنى المواطنة في الاصطلاح على معناها الـلّغوـي تماماً فالمواطنة معناها الاقامة أو السكن في بلد ما ولد فيه الانسان أو لم يولد، ولها معاييرها التي تختلف من بلد الى آخر حسب ما تنص عليه قوانين وضوابط ذلك البلد. وتدعى بالانكليزية "Citizenship".

المواطنة في القرآن

لم ترد مفردة الوطن أو اشتقاتها في القرآن الكريم إلا في موضع واحد، وهي كلمة موطن، في قوله تعالى: (ولقد نصركم إِنَّ فِي مُوَاطِنٍ كثِيرَةً) التوبة: 25، وموطن جمع مفردة موطن، ومعناه: المشهد من مشاهد الحرب. (النهاية 5: 204، وطن).

وهذا يتضمن أحد المعاني الـلّغوـية للوطن دون معناه الاصطلاحي، ومفاده أن القرآن لا يغير للمواطنة أهمية لأن الله خلق الانسان ليعيش حرّاً على الارض لا يحده مفهوم الوطن ولا تحده المواطنة وأن اصطلاحت عند البشر لأن الله أراد من الانسان أن يكون له أعلى هدف في الحياة ألا وهو الاستخلاف وأعمار الارض وبناء الذات. قال تعالى: (أَنْتَمْ يَجْعَلُونَ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً) البقرة: 30.

المواطنة في الاسلام

لكي نبيّن بعض الفروق في معنى الانتماء البشري واستحقاق الولائق في النظام الاسلامي نقول:

في النظام الاسلامي وبالنسبة الى مسألة الانتماء البشري فللإنسان الحق بالانتماء حينما يفتح عينيه لهذه الدنيا ويطأ أرض أي بلد سواء كان مولوداً فيه أو لاجئاً له وسواء منح شهادة الميلاد أم لم يمنح ذلك، لكن في مسألة منحه الشهادة الجنسية فالقضية تتبع كل دولة وقوانينها لكن لا أعرف أنا شخصياً أن كانت مدونة في قانون الدولة الاسلامية في ايران أم لا؟

وكما نعلم جميعاً يجب أن يطّلع الانسان على التعاليم والمفاهيم المدونة في القانون لكي يتعامل معها ضمن القواعد المسموح بها وبهذا فسوف يولي أحتراماً لكل الطبقات البشرية المتعايشة معه في تلك الدولة. وهذا ما نصّ عليه في الكتب السماوية ومن جملتها القرآن الكريم حينما يقول في سورة الحجرات كالتالي:

" يا أيها الناس أرنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا أن أكرمكم عند الله أتقاكم أن الله علیم خبير " ([1]).

وكذلك ما أجمل وأروع تعبير حينما يذكر القرآن الكريم في سورة الانبياء كالتالي:

" أو لم ير الذين كفروا أن السموات والارض كانتا رتقاء ففتقنهم وجعلنا من الماء كل شيء هي أفلا يؤمنون " ([2]).

مقرّاً ومجسّداً حقيقة التعايش والانتماء الى الارض. فبأنني التأكيد بأنه بينما يتواجد الماء تتواجد الحياة وهي ليست ملكاً واحداً وأنما هي ملك للجميع في هذه الحياة الدنيا.

فالانتماء لهذه الارض هي فطرة فطرنا الله عليها وثبتت حقيقتها في كتابه العزيز.

فلو ربطنا بين هذا الانتماء البشري الوارد في النظام الاسلامي واستحقاق الجنسية كما ورد في النظام الكندي سنرى أن مثل هذه الدول الرأسمالية وغيرها من الدول ذات القوانين الوضعية تنصل على أن مسألة الانتماء البشري تحدّد بولادة الشخص في دولة ما وبهذا سيتبع ذلك البلد بعيداً عن حقيقة ترابط هذا الوليد ومع ما يؤمن به فطرياً وهي فطرة الله التي فطر الناس عليها كافية كما جاء في الحديث الشريف للرسول محمد بن عبد الله (ص) حيث قال:

" كل انسان يولد على الفطرة حتى يكون ابواه يهوّداته او ينصراته او يمجّساته ".

فبهذا يرجع الانسان بفطنته الى الخالق الحقيقي لهذا الكون وهذه حقيقة قاطعة لابد للبشرية جماء من فهمها وهذه هي الرسالة الحقيقية التي أتى بها جميع الرسل والأنبياء والأئمة سلام عليةم جميعاً .

كندا نموذجاً

لو نأخذ حقيقة الانتماء البشري وما يتبعها من أمور تفصيلية في منح هذا الانسان وثائق وحقوق منذ تواجده في هذه الحياة الدنيا. أذ هي حق لابد منه أن يمنح لكل انسان ولد على هذه الكرة الارضية ألا وهي الوثيقة التي تمنح للوليد عند ولادته وتدعى شهادة الميلاد ويعادلها بالانكليزية " Statement of Birth " بالانكليزية تدعى وما الجنسية الشهادة عن تختلف والتي " Citizenship " life birth .

وما عنيت بالاختلاف هو كالتالي:

مهما كان أصل اب والام للوليد فإن أنجبت الام على سبيل المثال في كندا فقد يمنح الوليد شهادة ميلاد كندية ولا داعي لأن يحمل الشهادة الجنسية وأن أراد ذلك فهي متوفرة له لانه أصلاً هو مولود كندي.

أمّا في حال يلد الانسان في بلد ويلجأ لبلد آخر ول يكن كندا كمثال على ذلك فتمنح له الشهادة الجنسية حسب التعاليم المدونة في قانون الدولة وتختلف الفترة الزمنية من بلد لآخر.

أذاً ما هو المطلوب لكي تحصل على الشهادة الجنسية الكندية. ولكي يتتسنى لي شرح ذلك يجب عليّ أن أعطي فكرة عن ماذا تعني بأن تكون مواطنناً كندياً حسب ما جاء في القانون الكندي والقاتل:

معنى المواطننة الكندية ([3])

أن يكون الشخص له حالة نطا مية (أي أن يكون معروفاً لدى الأجهزة الامنية

للدولة) كما نصّ عليه في قانون المواطنة للدولة.

-2 التقاسم والمشاركة بشكل متساوٍ في الحقوق والمسؤوليات المتعلقة بكل مواطن كندي.

-3 أن يلعب الشخص دوراً اجتماعياً فاعلاً في المجتمع الكندي (أي معروف لدى الكنديين).

بعد هذا التعريف في المواطنة الكندية علينا أن نذكر اذاً من هو الذي يستطيع ان يصبح مواطناً كندياً حسب ما جاء في القانون الكندي والقال:

كيف تصبح مواطناً كندياً ([4])

-1 أن يكون الشخص مولوداً في كندا.

-2 وفي بعض الحالات، أن يكون الشخص مولوداً خارج كندا لكن أحد والديه من تبعة كندا (سواء من طرف الام أو من طرف الاب).

-3 أن يتقدم الشخص بطلب لكي يكون مواطناً كندياً.

وبعد أن سردنا ما هي المواطنة الكندية وما كيفيتها مما تبقى علينا ألا أن نذكر الشروط التي تمنح من خلالها الجنسية الكندية حسب ما جاء في القانون الكندي والقال:

شروط منح الجنسية الكندية ([5])

-1 أن يكون الشخص في الثامنة عشر من عمره أو ما زاد عن ذلك (القاصرین ممكناً أن

يتقدموا بطلب وتمنح لهم الجنسية).

-2 أن يكون الشخص ذا إقامة دائمة.

-3 أن يكون الشخص قد عاش في كندا ثلاث سنوات من أصل أربع سنين مباشرة قبل الاقدام على طلب الجنسية.

-4 أن يكون الشخص له معرفة باللغة الانكليزية أو اللغة الفرنسية (اللغتان الرسميتان في الدولة).

-5 أن يكون الشخص له معرفة بكندا وبالمسؤوليات والامتيازات للمواطنة.

-6 أن لا يكون الشخص محظوراً من منح الجنسية بسبب الجرائم المحظورة أو بسبب أمر الاقامة أو بسبب مشكلةأمنية.

ولابد من التنويه هنا أن لوزارة التحنيس والهجرة القابلية للتنازل عن بعض من هذه الامور الانفة الذكر في الفقرة السابقة ألا وهي شروط منح الجنسية ولظروف محددة وخاصة وهي حسب القانون الكندي([6]) كالتالي:

-1 .العمر.

-2 .اللغة.

-3 .المعرفة.

-4 .القسم.

-5 .الإقامة (أذا كان الأمر يتعلق بقاصر).

أن الاخالل بأي من هذه الامور في مسألة شروط منح الجنسية الانفة الذكر قد يعرّض الشخص الى التساؤل

والمسؤولية وفي نهاية المطاف أمكانية سلب جنسيته الكندية.

لكن في مثل هذه الدول التابعة للقانون الوضعي يتلاطفون هذه الانارة الواضحة للانتماء البشري في النظام الاسلامي بعدة تدابير ومن جملتها يفتحون باب اللجوء ولأسباب عدّة ومن جملتها:

-1 جعل خليط ممترج من الثقافات والديانات ودراسة السبل المساعدة لتكوين مجتمع من مختلف الاماكن والطوائف البشرية.

-2 جلب الطاقات البشرية من كافة الدول الأخرى لرجزها في هذه الدولة ولمصلحتها فقط.

-3 امكانية التفوق بكل الجوانب الحياتية وعلى رأسها التقدم العلمي.

وغيرها من الاسباب الأخرى.

وبالنتيجة جعل هذه الطبقات البشرية في خدمة تلك الدول الوضعية الكبرى دون الرجوع الى حقيقة أن رجال الدولة هم المسؤولون الحقيقيون وبمعنى آخر هم الخدام الحقيقيون لهذه المجتمعات كما هو منصوص عليه في النظام الاسلامي بشكل واضح ويتجسد بالحديث الشريف لرسول الله محمد بن عبد الله (ص) حيث قال:

" كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته ".

عوامل نجاح الشخص للحياة في كندا

ولكي أوضح الامر السابق بشكل جلي أكثر لندرس بعض من العوامل التي تجعل الانسان موفقاً في الدول الكبرى.

أن شاء الشخص أن يتدرج في مناصبه ومراقبه فعليه تدبّر عدّة أمور لكي توصله الى سلسلة النجاح. ومن جملة هذه التدابيرات:

- 1- الانصهار في المجتمع.

- 2- أقتباس الاعراف.

- 3- التمسك ببعض الامور الهاامية في الحياة والابتعاد عن مبادئه الحقيقة.

- 4- الانحراف في المجتمع حتى يصل الحال فيه بأن يغير أسمه بالشكل الكامل والى غيره من هذه الامور.

فهذا هو بالنسبة للدول الكبرى معنى فهم النظام بالشكل الكامل والانتماء اليه والتعايش معه وفي الحقيقة هو أن تعمل من أجل خدمة الاموال المتداولة في الدولة.

موقف الاسلام تجاه هذه العوامل

أمّا في النظام الاسلامي فالتدرح ضمن المناصب والحصول على لقمة العيش ال�نيئة يتطلب منا الامور التالية:

- 1- الانصهار في المجتمع حسب ما جاء في الشريعة الاسلامية والسنة الشريفة وضمن التنافس اللائق والتزيه دون أي محسوبيات أخرى.

- 2- أقتباس الاعراف التي هي مصدر من مصادر تكوين الاخلاق المترنة والمقبولة لدى العقل والتي لا تتضارب مع ما جاء في القرآن الكريم والسنة الشريفة.

- 3- التمسك بالمبادئ الصحيحة والمتينة والمبنية على أسس علمية وخلقية دون الانزلاق في متأهات هذه الدنيا ونسيان المسؤوليات المترتبة على كافة طبقات البشرية.

- 4- وبهذا كله يكون الانحراف في مثل هكذا مجتمع أزّما يبيّن مدى الترابط المتنين في الامور كلها وجعل المعنى الحقيقي للمسّميات دون الخدش فيها.

فهذا هو بالنسبة للنظام الاسلامي الحنيف معنى الانتماء للمجتمع وفق الضوابط الصحيحة والواضحة.

وأما عن الانتماء البشري وما يوصفه القانون الوضعي في الدول الكبرى ككندا وغيرها بمنح الشهادة الجنسية ولكي يصل الشخص لهذه المرتبة يكون قد دخل عالماً من التنافس اللasherif وفي دوّامة العمل الالي وتحكم فيه الاموال الطائلة والآفوس المريضة ذو الشأن في الحكم. وهذا ما دعنته آنفاً غابة فيها القوي يأكل المضعف وحينها يتحول هذا الانسان من طالب لجوء يهدف العيش بأمان واداً به يرى نفسه في مستنقع لا يعرف كيف الخلاص منه ومتى وما هو مصيره في هذه الدنيا وما أدراك أن كان يؤمن بتلك الحياة أم لا؟

الخاتمة

يتبيّن من خلال المقال أمور هي:

أولاً: أن المواطننة من الحقوق الوضعيّة.

ثانياً: أن الإسلام يعطي الإنسان الحرية في اختيار الوطن الذي يريد العيش فيه.

ثالثاً: أن هدف الدول الغربية من منح اللجوء للمسلمين هو استقطابهم وأذابتهم في مجتمعاتها وانصارهم فيها.

رابعاً: أن الأقلّيات المسلمة في الدول الغربية يزاولون أغلب نشاطاتهم بحرية وخاصة الدينية، وهم على وعيٍ تام بمخططات هذه الدول تجاههم.

خامساً: أن المواطننة التي تمنحها الدول الغربية للمسلمين فرصة يمكن انتهازها لصالح الإسلام وترويج أهدافه الإنسانية العالمية.

سادساً: على الأقلّيات المسلمة الاهتمام بأجيالها المقبلة لكي لا ينسوا الاهداف والقيم التي يحملها آباءهم.

المصادر

جمهرة اللغة، ابن دريد، نشر دار العلم للملائين، بتحقيق رمزي منير بعلبكي، 1990.

كتاب العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق الدكتور مهدي المخزومي وابراهيم السامرائي، وتصحيح: الاستاذ أسعد الطيب، انتشارات اسوة، الطبعة الاولى 1414 هجري قمري.

المصباح المنير في غريب الشح الكبير، للفيومي، احمد بن محمد علي المقرى المتوفى سنة 770 هجرية، المكتبة العلمية بيروت.

المنجد في اللغة، لويس معلوف، الطبعة السادسة والعشرون، بيروت لبنان.

الحاسوب الالكتروني بمراجعة الصفحة التالية: CA.GC.CIC.WWW

[1] - لسوره 49 الاية 13 .

[2] - لسوره 24 الاية 30 .

[3] - www.cic.gc.ca.

[4] - www.cic.gc.ca.

[5] - www.cic.gc.ca

[6] - www.cic.gc.ca.